امّا اقتراحاته لمواجهة هذه الحالة، فتقضي، اولاً، بالاحتفاظ بالنموذج الوحيد للسلام العربي ـ الاسرائيلي؛ اذ ان معاهدة سلام «واحدة في اليد خير من عشر على الشجرة»، ذلك ان التقدم في عملية السلام من شأنه ان يساعد في تدعيم العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية. ويمكن للولايات المتحدة ان تساعد في حل طائفة واسعة من المعضلات الثنائية. والنقطة الثانية، هي في مواصلة عملية السلام؛ فالجمود الحالي لا يستبعد اقرار سلام عربي ـ اسرائيلي اوسع نطاقاً، وقد ارست كل من اسرائيل والاردن ارضية مشتركة بشأن شروط التفاوض، وهو اساس يستحق البناء عليه. واياً كانت عملية التفاوض التي ستنشأ من ذلك، فانها لا بد وأن تشمل تمثيلاً فلسطينياً في كل مرحلة من المراحل، كما لا ينبغي غلق الباب في وجه المشاركة السورية، والسوفياتية. ثالثاً: التركيز على الضفة الفلسطينية وقطاع غزة؛ ففي الوقت الذي يتعيّن على كل من اسرائيل والاردن تحسين اوضاع الفلسطينيين هناك، فان هذه المناطق تمثل آخر ما تبقى من قواعد يمكن ان يرتكز عليها اي حل للقضية الفلسطينية. رابعاً: تقليل مخاطر نشوب مواجهة سورية ـ اسرائيلية، وايجاد حل في جنوب لبنان يسمح بانسحاب اسرائيل مع استقرار اوضاع الجنوب الامنية، الامر الذي يسهم، بدرجة كبيرة، في استبعاد هذه المواجهة[٤٢].

ان هذه، وغيرها، من الاهداف التي على صانع القرار الاميركي ان يستلهمها قبل ان يلتفت الى شؤون المنطقة، تحتاج الى صبر وأناة القارىء، الذي يدرك، ببصيرته النافذة، ان الحديث لا يدور، قطعاً، حول «حكايات من الماضي»، بل حول وقائع خارقة في الحاضر؛ «فالميت يمسك بتلابيب الحي»؛ وهذه القصة الشائعة، بعد اجراء التعديلات المناسبة، هي قصتنا مع ميلر. فهو قال انه ليس من طبيعة السياسة الاميركية في الشرق الاوسط دائماً ان تقدم حلولاً ونتائج واضحة ومباشرة وغير مبهمة للازمة المعنيّة، بل ان التغييرات ـ حتى عندما تكون ناجمة عن صراعات عنيفة ـ تأتي «مجزّأة»، وغالباً ما تكون «بطيئة»؛ فغياب معاهدات السلام الرسمية لا يعني الانجرار، بصورة حتمية، الى الحرب. ومع ذلك، قرر ان العنصر الرئيس في السلام الدائم ليس موجوداً بعد، والتعايش الدائم لن يأتي الاّ عندما يقرر العرب والاسرائيليون ان تكاليف المواجهة فيما بينهما مكلفة بدرجة اكبر من اللازم؛ حينها، فقط، يمكن للوساطة الاميركية ان تلعب دوراً هاماً في تقليل احتمالات وفرص المواجهة، وفي «تحسين المناخ»، بمجرد ان يتحقق هذا التوافق في المصالح[٤٣].

هذه افكار الرجل الثاني في مكتب التخطيط السياسي في وزارة الخارجية. وهي توجهات وافكار طرحت في مرحلة صياغة السياسة الاميركية الرسمية، وطبعت مصطلحات ذات دلالة تتعدى التعابير اللغوية لترسم توجهات رئيسة في اذهان الاطراف المعنية بالنزاع. ومن الادلّة على ما في هذه التعابير من قوة الالزام، ان الكلام عليها قد استعار، في كثير من احواله واطواره، لغة الطبيعيات، في ما يصل منها الى المخيلة العامة، وهي اكثر اللغات قدرة على حمل الاقناع وصوغه. نعود الى لغة الطبيعيات، ونعفّ عن التبصّر في امر عبارة «تحسين المناخ» التي شحّ تداولها، منذ مدة، على الرغم من اننا غارقون في مسماها اكثر من اي وقت مضى، وننظر، مثلاً، الى عبارة «حراثة الارض» لتصبح قابلة لزرع «بذور» المفاوضات المباشرة، ونوجز، ايضاً، في ذكر «تنفيس الاحتقان» التي تؤازر، عادة، في عملها لحراثة الارض، وجميعها تتطلب بذل المزيد من الوقت.

يلتقي هذا الاتجاه بوضوح مع الكلام الذي ردّده دانيال بايبس، حيث رأى ان الفرصة التي اتاحها قرار الملك حسين بفك الارتباط الاداري عن الضفة الفلسطينية لاسرائيل اكثر من